

الاستعاذة

معنى الاستعاذة:

يقال: استعاذ بفلان أي لجأ إليه واستجار به واحتسب بحماه، فالاستعاذة إذن، هي اللجوء إلى من يحمينا من خطر وشيك الوقوع وعدو يريد بنا شراً ولا نقدر على دفعه وحدنا. والاستعاذة بالله لجوء إلى حصنه الحصين من خطر غيبي لا نراه، لكننا ندرك شره وخطره على حياتنا وآخرتنا ولا نقدر على دفع ضرره عنا إلا باللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، لأنه يأتينا من حيث ندرى ولا ندرى، ويستدرجنا إلى ما فيه هلاكنا ونحن نحسب أننا نسعى إلى ما فيه خيرنا.

الداء والدواء:

عندما يصاب جسمك بأي مرض تسارع إلى الطبيب لإجراء الفحوصات اللازمة والحصول على الدواء الشافي. قد يصف لك الطبيب دواء لعلاج جسمك مما أصابه لكنه يرفق الدواء بمجموعة من التعليمات عليك الالتزام بها ليحقق الدواء المفعول اللازم ويؤمن لك الشفاء. هذه التعليمات قد تكون عدم تناول الدواء على معدة فارغة لأنه شديد المفعول وقد يؤدي جدران المعدة، وقد يمنعك من

تناول أطعمة معينة ، كاللبن مثلاً ، لأنه يمنع الدواء من أداء مهمته أو يخفف من تأثيره ، أو يتضارب معه فيسبب لك تأثيرات جانبية مؤذية .

وأنت رغبة في الحصول على الشفاء تلتزم بالتعليمات .

غرفة العمليات:

وإذا رأى الطبيب أنك بحاجة لعملية جراحية فإنك ستذهب إلى المستشفى لإجرائها ، وهناك في الوقت المحدد ، تخلع عنك ملابسك وترتدي ثوباً جرى تعقيمه ، ثم تدخل إلى غرفة خاصة معقمة حيث يطهر كامل جسمك من الجراثيم والبكتريا ، وفي غرفة العمليات يطهر الطبيب مكان الجرح قبل أن يبدأ بإجراء العملية لئلا تنتقل الجراثيم إلى الجرح وبدل الانتفاع بالجراحة تصير وبالاً عليك .

القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ﴾ [فصلت : 44] .

وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الاسراء : 82] .

ولأنه شفاء للنفوس من الضلال والشرك والكفر ورحمة مهداة من رب العالمين للبشر ، وجب أن تكون النفس مستعدة

للسماع والاستعاذة والروح صافية لا شيء يشغلها ولا فاتن يفتنها، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: 98].

إذن إذا أردنا أن يشفي القرآن أرواحنا من الضلالات، وصدورنا من الشك ونفوسنا من الأهواء، يجب أن نكون مستعدين لذلك لأن الشيطان يتربص بنا الدوائر فقد أعلمنا الله سبحانه وتعالى بنواياه وأفعاله؛ فهو قد توعد بني آدم فيما ذكره الحق تعالى في القرآن الكريم ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: 16].

وما دام الأمر هكذا فكل طريق مستقيم سنجد أمامنا فيها شيطاناً يريد أن يصرفنا عنها ويمنعنا من سلوكها بالغواية والإضلال، والتغلب عليه لا يكون إلا باللجوء إلى حصن الله الحصين والاستعانة به والاستعاذة بسلطانه والاستنجاد بجواره وهذا يكون بالاستعاذة به من الشيطان الرجيم.

فالاستعاذة بالله هي كالتعقيم الذي يجريه الطبيب قبل إجراء الجراحة والتعليمات التي تنفذها قبل تناول الدواء لتحصل على الفائدة منه.

أين ينشط الشيطان؟

قد يقول قائل: وما الذي يأتي بالشيطان إلى مجالس الذكر والمساجد وقراءة القرآن؟

لهذا السائل نقول: أظن أن الشيطان يستوطن مواطن
الفساد من كباريهات ونوادٍ للقمار والفجور والرقص الخليع؟
إن رواد هذه المواقع قد أصبحوا من أعوان الشيطان على
أنفسهم وعلى غيرهم ممن يحاولون استدراجه .

هؤلاء قد سقطوا وانتهى أمرهم والشيطان ينظر إليهم فرحاً
بما آل إليه حالهم، فكل رذيلة يمارسونها تجرهم وتقود خطاهم
إلى رذيلة أسوأ منها، والشيطان لا يريد أن يعطاهم عمّا يفعلون
بل يريدهم أن يستغرقوا فيه .

والمرايع التي يرتادونها تزين لهم ما يفعلون، وتقدم لهم
من رفقة السوء من يشجعهم على ابتكار كل جديد من المعاصي،
وكل دركة يهبطون إليها تدفعهم إلى ما دونها .

وماذا يريد منهم الشيطان أكثر من ذلك؟

لذلك تراه يتوجه إلى من ابتعد عن هذه المواضع ونفر من
هذه الموبقات وكرهت نفسه المعصية ليزينها له ويحسنها أمام
ناظره عساه يسقط في حماتها .

هو يقصد مجالس الذكر، عسى أهل الذكر يتركون ما هم
فيه من عبادة وطاعة ويتحدثون في الأمور الدنيوية والمكاسب
والمنافع ومجالس الأنس والسمر . هو يقصد المساجد لعله
يستطيع أن يشغل المصلين عن صلاتهم فيسهون عنها .

هو يقصد أماكن قراءة القرآن ليوسوس للقارئ أن يغلق

مصحفه ليستمع إلى آخر ما ظهر من أغانٍ وليشاهد الراقصات وهن يستعرضن مفاتهن أمام المتفرجين .

هل للشيطان سلطان؟

ليس للشيطان سلطان على الإنسان ما دام الإنسان مقبلاً على طاعة ربه، مبتعداً عن المعاصي ﴿إِنَّهُمْ لَكُمُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَكَلَّمُونَ﴾ [النحل: 99] لأن ﴿الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: 165]؛ لكن البعض يتخلى عن حماية وحفظ الله له ويسلم أمره وقياد نفسه لعدوه وهو ﴿إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ لأنهم هم قد سلطوه على أنفسهم ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 100] .

قد يقول قائل: إنهم لا يتعبدون للشيطان؛ فعبدة الشيطان لهم طقوس معروفة وعلامات مشهورة .

والجواب بسيط وواضح: إن الذي يعبد الله يطيعه فيما أمر، وينتهي عما نهى عنه، والذي يطيع الشيطان فيما يوسوس به ويتبع أوامره بترك الطاعات واتباع المعاصي فهو عابد له، ومن أطاعه في بعض الأمر كان من المشركين وإن ادعى غير ذلك .

كيف نقهر الشيطان؟

الجواب بسيط وهو أن نفعل عكس ما يريد .

الشيطان يريدك أن تشغل عن صلاتك فواظب عليها وأكثر من الطاعات والنوافل فيفر بعيداً عنك .

الشيطان يأمرك بالبخل وعدم أداء زكاة مالك، فأد الزكاة وتصدق وأحسن إلى الفقراء والمحتاجين؛ يبتعد عنك.

الشيطان يأمرك بعدم الصوم، فصم في رمضان، وأكثر من صيام التطوع تدفعه إلى اليأس. الشيطان يحسن إليك السفر للنزهة والتجارة بدل القيام بفرض الحج، فحج واعتمر وساعد غيرك على ذلك إن استطعت فيتركك ولا يقترب منك.

أخلص كل عمل تؤديه لله عز وجل تنقطع آمال الشيطان في إضلالك؛ وينفر منك، ويفر بعيداً طالباً النجاة بنفسه.

نصيحة أبي حنيفة (رضي الله عنه):

جاء رجل إلى الإمام أبي حنيفة شاكياً، باكياً، حائراً لا يدري ما يفعل، فقد أضاع كل ما أدخره طيلة سنين.

سأله الإمام: كيف أضعت هذا المال؟

قال الرجل: كنت أخاف من اللصوص، وأخشى أن يسرقوا مني ما تعبت في جمعه وادخاره ليوم أحتاج فيه المال ولا أقدر على السعي والعمل؛ لذلك وضعت هذا المال في صرة وخبأته في ناحية من الدار، وداري كبيرة، وقد نعت الموضع.

سأله الإمام: ألم تفتش وتبحث عن تلك الصرة.

قال الرجل: لقد بحثت كثيراً ولكن عبثاً فأنا لم أهتد للمكان.

قال الإمام: إسمع يا رجل، أطيعني فيما أمرك به؟
قال الرجل: نعم.

قال الإمام: اذهب الآن إلى دارك، وتوضاً ثم قف وسط دارك متوجهاً إلى القبلة، وقل بصوتٍ مسموع: نويت أن أقوم الليل كله لله رب العالمين حتى يرد الله عليّ ما ضاع مني.

أسرع الرجل إلى داره، فتوضاً، ووقف متوجهاً إلى القبلة، ورفع صوته بالنية، كما أمره الإمام، وبدأ في الصلاة؛ لكنه ما كاد ينهي ركعتين ويسلم ويرفع صوته بتكبير الإحرام لمتابعة الصلاة حتى تذكر موضع الصرة؛ فسلم وأسرع يخرجها من مكانها وينفق منها على نفسه وعياله.

النسيان:

لقد عرف الإمام أن الرجل لم ينس، ولكن الشيطان أنساه، كما أنسى الرجل الذي كان مع يوسف عليه السلام في السجن أن يذكر حال يوسف عليه السلام لسيدة كما طلب إليه، وقد قال تعالى: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: 42].

كما أنسى يوشع بن نون أن يذكر لموسى عليه السلام خروج الحوت (السمكة) من السلّة واتخاذه طريقه في البحر سرباً، ولذلك عندما طلب إليه أن يأتي بالحوت من السلّة ليتناول طعامهما تذكر، وقال فيما أخبرنا الله عنه ﴿وَمَا أَسْنِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ

أَنْ أَذْكُرْ ﴿[الكهف: 63]؛ ولذلك أمرنا سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: 68].

حربنا مع إبليس:

لقد عرف الإمام رضي الله عنه أن الشيطان قد أنسى الرجل موضع الصرة لما رأى تعلقه بها، ورأى شغفه بالصلاة فأراد أن يشغله عن الصلاة بالبحث عن ماله المفقود؛ لذلك أمره أن يعود إلى الصلاة وأن يرفع صوته بنية قيام الليل حتى يرد الله عليه ماله كي يسمع الشيطان النية فيكون في ذلك عقاب له؛ ولذلك ذكّره بموضع الصرة بعد الركعة الثانية كراهية أن يراه يقوم الليل كله في صلاة.

إذن فالحرب بيننا وبينه سجال، هو يحاول أن يهلك الناس بالأهواء والشهوات وسلاحهم في الرد عليه هو التوبة والإنابة والاستغفار.

يقول الشيطان فيما روي في الحديث: أهلكتهم بالذنوب فأهلكوني بالاستغفار.

الأرزاق والعقول:

عندما قسم الله الأرزاق لم يرص أحد برزقه، فالغني يريد أن يزداد غنى والفقير يكره فقره، والعابد يفر من الدنيا فراره من السبع.

وعندما وُزِعَ العقول فَرِحَ كل واحد بعقله وظنَّ أنه أذكى الناس، ولذلك يحسب أنه يحسن صنعاً وهو يقوم بأبعد الأعمال عن الخير والصلاح، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣) ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (١٠٤) [الكهف: 103، 104].

ولذلك امتلأت جهنم بأصحاب النوايا الحسنة، لأن النوايا الحسنة وحدها لا تكفي وقد قال تعالى: ﴿فَتَسَلَّوْا أَهْلَ الدِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]. يمرض ولد أحدهم فيخبره جاهل أن ذلك ربما كان من ديدان الأمعاء وأن عليه أن يسقيه بعض الكاز ليقتضي على الطفيليات، والآخر أجهل منه فيسقيه الكاز ويكثر له منه فيسبب له التسمم، وقد يموت أو يحمل إلى المستشفى وهو بين الموت والحياة، ولو ذهب به إلى الطبيب أولاً لعرف ما به ووصف له الدواء الملائم.

جارة تخبر جارتها أن قرية لها استعملت الخل للتنحيف وإزالة السمنة، فتبدأ هذه بشرب الخل فتصيبها القرحة وتكسر الكريات الحمراء والله أعلم إن كانت ستشفى من ذلك أم لا. كل واحد من هؤلاء يقول لك: كانت نيتي حسنة، ولكن انظر إلى أين أوصلته نيته الحسنة.

نصائح الشيطان وتزيينه:

يجلس أحدهم مع أصحابه في مجلس أنس، أو مطعم ويطلب هؤلاء الأصحاب زجاجة خمر، ويدعون له يشرب معهم.

يقول: لا أشرب الخمر ولا أحبها. فيبدأون بإغرائه بكأس صغيرة من باب التجربة والتذوق.

وقد يقولون له هذه «بيرة» والبيرة لا تسكر وليست من الخمر فيصدق ويجرب لإظهار أنه لا يخشى من شيء، وكأس تقود إلى أخرى، ونوع يأتي بعده آخر فيدمن الخمر وما تجرّه من رذائل.

يقدمون له سيجارة فيدخلها ليرهن لهم أنه رجل، وسيجارة تجر أخرى وسيجارة عادية تأتي بأخرى يعلم الله وحده ما فيها ويصبح من مدمني المخدرات أو على الأقل من مدمني التدخين. كل واحد من أصحابه وله صديقة وهو وحده، فتأتي إحداهن بصديقة لها ونظرة فابتسامة فسلام يعقبه كلام ثم موعد ولقاء وينتهي الأمر بالزنا والعياذ بالله.

يجرب حظه مع رفاقه ليلة رأس السنة، ومرة بعد أخرى يصبح مقامراً وكل خطوة تدعو إلى خطوات.

وهكذا تبدأ النار من مستصغر الشرر، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم ما تحقرون من صغائر أعمالكم»؛ والشيطان يريد أن يحرمنا الثواب ويجعلنا مستحقين للعقاب؛ فيزين لنا صغائر الأعمال ويحقرها في عيوننا والصواب أن لا ننظر إلى صغر الذنب بل إلى عظمة من عصينا، وهو رب العالمين.

حكاية عبد الله بن أم مكتوم مع إبليس:

كان عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه، أحد أصحاب رسول الله ﷺ، وكان أعمى، وهو الذي نزلت فيه سورة «عبس». جاء عبد الله إلى الرسول ﷺ بعد أن تركه من كان يقوده إلى صلاة الصبح يريد أن يستأذنه في عدم حضور صلاة الصبح بسبب ذلك.

سأله رسول الله ﷺ: أسمع الأذان؟

قال: نعم.

قال رسول الله ﷺ: «لا أجد لك رخصة».

في فجر اليوم التالي خرج عبد الله بن أم مكتوم يريد المسجد فتعثر بحجر ووقع فشدخ رأسه وسال الدم على وجهه. قام يمسح الدم عن وجهه ليتابع طريقه، فتقدم منه رجل لا يعرفه وسأله: أين تريد يا عمّاه؟

قال: المسجد.

قال الرجل: أنا أوصلك وأعيدك إلى دارك؛ وأخذ بيده. مرت أيام على ذلك، وفي كل يوم يمسك بيده فيوصله إلى المسجد ويعيده إلى داره.

كان عبد الله سعيداً بهذا القائد الذي يوصله ويعيده، فسأله، عن اسمه، قال الرجل: وماذا تريد من أسمى؟

قال عبد الله : أريد أن أدعو الله لك جزاء ما تفعل معي من خير .

قال الرجل : لا أريدك أن تدعو لي ، ولا تحمل همي ولا تسأل عن أسمى .

قال عبد الله : والله لن تصاحبني حتى أعرف من أنت ولماذا تخدمني هذه الخدمة دون مقابل .

قال الرجل : طالما أقسمت ، فسأخبرك ، أعلم أنني أنا إبليس .

قال عبد الله : وكيف تقودني إلى المجد وأنت تنهى الناس عن الصلاة أصلاً؟

قال إبليس : أتذكر يوم خرجت فتعثرت وسال الدم من رأسك ووجهك؟

قال عبد الله : أذكر ذلك .

قال إبليس : لقد سمعت الملائكة ، ساعتها ، تقول بأن الله غفر لك نصف ذنوبك بتلك السقطة فخيت أن يغفر لك النصف الآخر بسقطة أخرى ، ولذلك كنت أقود خطاك وأساعدك في الذهاب والإياب ؛ وانطلق لا يلوي على شيء .

معنى إبليس وشيطان:

إن إبليس فعيل بمعنى مفعول من فعل «أبلس» أي يئس يأساً لا مزيد بعده ، وإبليس هو اليائس من رحمة الله القانط من

قبول توبته؛ ولذلك لا تطلق إلا عليه لأن باب التوبة مفتوح للناس.

أما شيطان، فإن كانت من «شَطَّ» أي بَعَدَ وَضَلَّ، فشط المزار والمكان: بَعَدَ، والشطط: الكلام الباطل البعيد عن الحق واشتط في كلامه: غالى مغالاة في العناد والبعد عن الصواب، وإن كانت مشتقة من «شطن» فيقال: شطنت الدار شطوناً: أي بعدت، والشاطن: البعيد عن الحق، والشيطان أشد من الشاطن معنى ووزناً. ولذلك تقال للإنس والجن، لأن بين الفريقين من يتعد عن الحق والصواب ويميل إلى الكفر والعصيان، وقد ذكر لنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أسماء وصفات بعض شياطين الإنس، كأبي لهب، ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدُوا ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُوا ﴿٣﴾﴾ [الهمزة: 2، 3] وفرعون، وهامان، والأشقى الذي نحر ناقة صالح ﷺ وغيرهم.

بين إبليس وفرعون:

روى الغزالي أن فرعون كان يقيم الحراس والجند كي لا يدخل أحد عليه في الحمام، لأنه كان يدعي الربوبية ولا يريد أن يراه أحد على الصورة التي يكون عليها الإنسان في الحمام.

فوجيء فرعون هذا بدخول شخص غريب عليه في حمامه.

قال فرعون: من أنت؟

قال الغريب: أنا إبليس .

قال فرعون: أنت إبليس اللعين اليائس من رحمة الله؟

قال إبليس: أنت أشد شيطنة وإبلاساً مني، فإن كنت أقول للناس لا تعبدوا الله فأنت قد قلت: أنا ربكم الأعلى .

بين إبليس وكفرة الإنس:

بعض الناس، من الملحدين، يزعمون أن الخلق صدفة كونية، وأنهم تطوروا من خلية إلى الحيوانات المنقرضة إلى الشكل المعروف .

أما إبليس فعندما عصى ورفض السجود لآدم كما أمره الله قال كما جاء في القرآن الكريم: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: 12] أي اعترف بأن الله هو الخالق .

الناس يحلفون بآبائهم وبمن يحبون من الزعماء أو القادة وحتى بالأولياء وبالصدافة، وبالخبز والملح أو بالشرف إلخ . . . والرسول ﷺ قال: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» .

أما إبليس فرغم عصيانه وشيطنته وإبلاسه من رحمة الله فقد أقسم بعزة الله، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ﴿فَاعِزَّكَ لَا تُؤْمِنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: 82]؛ فرغم استكباره أقسم بعزة الله . أما عندما يغوي الإنسان ويدفعه إلى الكفر فيكفر، فإن الله سبحانه وتعالى قد أعلمنا عن حاله وكلامه حينذاك في سورة

الحشر: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر: 16].

تعريف الكفر:

الكفر هو التغطية والإخفاء ونقول كفر الفلاح البذرة أي غطّاها بالتراب كي تمت جذورها في الأرض وتنمو، والكافر هنا هو الفلاح؛ قال تعالى: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ [الفتح: 29]، أي الفلاحين؛ فالكفار هنا لا تعني الذين كفروا بالله عز وجل وإنما الذين كفروا الحَبَّ أي غطوه بالتراب لينمو؛ ولذلك تسمى القرى الزراعية الصغيرة بالكُفُور فيقال: «كفر الزيات» و«كفر الشيخ» إلخ... ونرى أسماء القرى التي تحمل اسم «كفر» كثيرة العدد في كل البلاد العربية.

أنواع الكفر:

أما الكفر المعروف فقد قسمه العلماء إلى ستة أنواع:

1 - كفر تكذيب: المكذب يؤمن بالله عز وجل ولكنه يكذب بالقرآن أو ببعض ما جاء في القرآن أو يقول هذه السورة غير صحيحة أو هذه الآية محرّفة إلخ... وهذا كافر حتى لو شهد أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

2 - كفر إنكار: المنكر قد يؤمن بالله عز وجل لكنه ينكر النبوة والرسالة والبعث والقيامة والحساب؛ وقد يدّعي أن الأنبياء

إنما هم مصلحون اجتماعيون وضعوا هذه الكتب لإصلاح حال الناس في زمنهم؛ أو ينكر أموراً معروفة من الدين، أو نبوة نبي من الأنبياء الذين ذكروا في القرآن الكريم، إلخ...

3 - كفر إعراض: وهذا يؤمن ببعض ما جاء في الكتاب ويكفر ببعض، يؤمن بالنص ويعرض عن تطبيقه والالتزام ببعض، ومن هؤلاء بعض من يدعون العصنة فيعرضون عن الأمر بالحجاب ولا يلتزمون به ولا يدعون إليه، وقد يعرضون عن الصلاة أو الزكاة أو الحج ويقولون إنما هذه الأعمال لتوكيد اليقين لدى ضعفاء الإيمان ونحن يقيننا ثابت ولو صح قولهم لوجب أن يكونوا أكثر الناس طاعة لله.

4 - كفر نفاق: والنفاق هو أن يظهر المرء الإيمان ويبطن الكفر والعصيان، والمنافق يتظاهر بالتقوى والعبادة ويضمّر الاستهزاء بالنبي ﷺ والقرآن.

5 - كفر الشك: وهذا يشمل من يشكون بنبوة الأنبياء أو بالوحي أو بالحديث النبوي الشريف فيقولون نأخذ بما جاء في الكتاب وينكرون الحديث ويدعون أن أكثره موضوع.

6 - كفر الاستهزاء: وهو رواية النكات والنوادر عن الأنبياء أو الخالق والعياذ بالله أو الجنة والنار إلخ... وهؤلاء قد ذكرهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَاءَ لَّهُمْ لِقَوْلُكَ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ

تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿٦٦﴾ [التوبة : 65 ، 66] .

أنواع الكفرة:

والكفرة أيضاً أربعة أنواع:

1 - ملحد: وهذا دهري ينكر الألوهة والخلق أصلاً
ويزعم أن الكون والإنسان أوجدته صدفة كونية ثم نما وتطور
حتى وصل إلى ما هو عليه ؛ وهؤلاء قد أخبرنا القرآن الكريم عن
كلامهم في قوله تعالى :

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾
[الجاثية : 24] .

2 - مشرك: وهذا مؤمن بالله إنما يشرك معه غيره،
كالضالين الزاعمين أن لله ولداً، والقائلين بأن الملائكة بنات الله
والذين يعبدون آلهة متعددة يزعمون أن لها أ هو كبير الآلهة،
والذين يشركون فيعبدون الجن ويزعمون أن لهم سلطاناً، والذين
يتعبدون للقبور والمزارات ويزعمون أن لمن بها من الموتى
سلطاناً على الأحياء وأنها تضر وتنفع إلخ . . .

3 - كافر: وهذا ينكر نبوة خاتم الأنبياء ﷺ وإن آمن بغيره
من الأنبياء، أو ينكر أمراً معروفاً من الدين، أو يكون معرضاً أو
شاكاً أو مستهزئاً.

4 - المنافق: وقد تحدثنا عن النفاق سابقاً، والمنافق يظهر الإيمان ويبطن الكفر، والشرك أو الإلحاد؛ وقد أعلمنا تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الذَّرِكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: 145] لأن المنافق أشد ضرراً على المسلمين من عدوهم فهذا يقيم بينهم ويدّعي أنه منهم ثم يوالي عدوهم.

طاووس الملائكة:

قبل أن يخلق الله آدم، كان يعمر الأرض مخلوقات من الجن، فعصوا ربهم وكفروا وفسقوا فأراد الله سبحانه وتعالى أن يطهر الأرض منهم ولا يبقى منهم أحداً.

لكن الملائكة الطوافين في الأرض شفّعوا لواحد من الجن يدعى عزازيل، قالوا أنه لم يكن كافراً كقومه، بل كان يعبد الله مخلصاً.

أمر الله عز وجل ملائكته، وهو أعلم بالأرض وما فيها ومن فيها، أن يرفعوا عزازيل هذا ليعيش بينهم؛ فعاش عزازيل بين الملائكة يتّيه عليهم بعلمه وعبادته.

الملائكة يعبدون الله خلقه، ولا يعلمون إلا ما علمهم الله من علوم هي فيهم خلقه.

أما عزازيل فمكلف يعبد الله اختياراً ويعلم العلوم التي

تعرفها المخلوقات التي تتناسل وتتكاثر بالزواج، من شهوة وحب إلخ...، لذلك سمي طاووس الملائكة.

استخلاف آدم:

وقضت حكمة الله عز وجل أن يخلف الأقوام التي طهر الأرض منها خليفة يعمرها بعدهم، فهي مخلوقة للعمران والحياة وسبل الحياة متوفرة عليها لكل مخلوقات الله.

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يخلف من كان قبله من المخلوقات.

ظن الملائكة أن هذا المخلوق لن يختلف عمن قبله، ولذلك قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ ونحن أحق منه بالخلافة ﴿وَمَنْ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ فقال تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30].

فسق إبليس:

وقد كرم الله آدم ﷺ وعلمه الأسماء كلها ثم أمر الملائكة بالسجود له، سجدوا تكريم.

والأمر للجماعة يشمل من معهم ممن ليس منهم؛ أي أن الأمر بالسجود يشمل عزازيل (إبليس).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: 50] لقد رفض تكريم

آدم وأظهر له العداوة والبغضاء وطلب من الله عز وجل أن يؤخره إلى يوم القيامة، فأجابه إلى طلبته.

وبدل أن يتوب ويستغفر نسب الغواية لله تعالى وتوعد البشر بالغواية والإضلال.

وقد جاء الخبر في سورة الأعراف، قال تعالى: ﴿قَالَ فَأَهِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ النَّاظِرِينَ (١٥) قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَفُتِنَهُنَّ لَهُمْ مِرْيَاةً أَلَمْ يَسْتَفِيمُوا (١٦) [الأعراف: 13 - 16]؛ وكان عقابه الطرد واللعنة إلى يوم الدين، وعذاب جهنم يوم يبعث الخلق أجمعين.

إبليس والخطاب:

سمع خطاب مؤمن أن أهل إحدى القرى قد اتخذوا شجرة يعبدونها من دون الله، فحمل فأسه، وقصد تلك الشجرة يريد أن يقطعها. في الطريق قابله الشيطان فسأله: أين تريد أيها الخطاب.

قال الخطاب: أريد أن أذهب إلى القرية فأقطع الشجرة التي اتخذوها إلهاً من دون الله.

قال الشيطان: أنا سأمنعك من ذلك.

قال الخطاب: لن تقدر على منعي.

تصارع الخطاب مع الشيطان، فريح الخطاب الجولة لكنه كان متعباً فأجل قطع الشجرة لليوم التالي.

في اليوم الثاني خرج الخطاب يريد قطع الشجرة فاعترضه الشيطان مرة أخرى، فتصارعا فصرع الخطابُ الشيطان.

قال الشيطان وقد رأى ألا قدرة لديه للتغلب على الخطاب: ما رأيك لو تترك الشجرة وشأنها ولك عليّ أن أعطيك كل يوم ديناراً تجده تحت مخدتك.

وافق الخطاب ورجع إلى داره.

في صباح اليوم التالي، رفع الخطاب المخدة فوجد الدينار تحتها، ودام ذلك عشرة أيام، وفي اليوم الحادي عشر، رفع المخدة فلم يجد الدينار. حمل الفأس وخرج يريد قطع الشجرة. في الطريق اعترضه الشيطان فتصارعا فغلبه الشيطان. تعجب الخطاب من ضعفه وقوة الشيطان.

قال الشيطان: لا تعجب، في السابق كنت تقاتلني من أجل الله فتصرعني أما اليوم فقد قاتلتني من أجل الدينار ولذلك صرعتك.

اللهم نجنا من الشيطان وهمزه ونفته ونفخه، اللهم نجنا من الوسواس ما ظهر منها وما بطن. اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.